

مفاهيم القرآن

(440) التوحيد الذي بعث الأنبياء والرسول الأعظم خاصة من أجل إقراره ونشره في المجتمع الإنساني، بل يجب - علاوة على التوحيد الربوبي - أن يفرد الله بالعبادة ولا يشرك به أحد، لأنّ مشركي العرب مع أنّهم كانوا يوحّدون خالق الكون ويعتقدون بأنّه واحد لا أكثر، فإنّ القرآن كان يعتبرهم مشركين، إذ يقول: (وَمَآ يُوْءَمِّنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللّٰهِ ۚ ٱلْإِلَـٰهَ وَهَهُمْ مُّشْرِكُونَ) (1). (2) ولا كلام في هذا المطلب، وليس من المسلمين أحد يتحلّى بالواقعية ينكر عدم كفاية التوحيد الربوبي وحده، بل للتوحيد - كما أسلفنا - مراحل أربع وإن اقتصر الوهابيون على مرحلتين منها ونسوا أو تناسوا المرحلتين الأخرين، غير أنّ الجدير بالذكر هو: أنّه لا يختلف أحد مع هؤلاء في هذه المسألة الكلية، فالجميع متفقون على وجوب الاجتناب عن عبادة غير الله، ولكن المهم هو أنّ الوهابيين يتصورن أنّ تعظيم الأنبياء، وأولياء الله - مثلاً - عبادة، في حين أنّ بين التعظيم والعبادة - في نظر الآخرين - بوناً شاسعاً وفرقاً كبيراً . وبعبارة أخرى: ليس بين المسلمين خلاف في هذا الأصل الكلي، وهو عدم جواز عبادة غير الله أبداً، وإنّما الخلاف هو في نظر الفرقة الوهابية إلى بعض الأعمال - كالزيارة مثلاً - حيث اعتبرتها عبادة، في حين لا تكون هذه الأعمال عبادة في نظر الآخرين. _____ 1 . يوسف: 106، 2 . فتح

المجيد تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى عام 1285هـ) ص 12 و 20 ، وهذا الأمر يدرّس الآن في المناهج الدراسية عندهم، ويؤكدون على هذين النوعين من التوحيد ثم يتهمون المسلمين بأنّهم موحدون ربوبياً لا الوهياً . وقد عرفت في ما مضى أنّ تسمية التوحيد في الخلقية بالتوحيد الربوبي، وتسمية التوحيد في العبادة بالتوحيد الألوهي خطأ من حيث اللغة ومصطلح القرآن فلاحظ الصفحة 431.